وقال قومٌ: اليومُ الثاني منصوبٌ على المحلِّ، كأنه قال: في يومِ لا تَملِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً[١].

وقيل: بمعنى: إنَّ هذه الأشياءَ تكون يومَ، أو على معنى: يُدَانون يومَ؛ لأنَّ «الدِّين» يدلُّ عليه، أو بإضمارِ اذكُر[٢].

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا يُنازِعُه فيه أحدٌ، كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ . ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦-١٧]. تمت السورة والحمد لله.

سورة المطففين

مكيةٌ في قول ابنِ مسعود والضحاك[٣]. ومدنية في قولِ الحسنِ وعكرمةَ ومقاتل[٤]. قال مقاتل: وهي أولُ سورةٍ نزلتْ بالمدينة. وقال ابنُ عباس وقتادةُ: مدنيةٌ إلَّا ثمان آياتٍ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ إلى آخِرها مكيٌّ. وقال الكلبيُّ وجابر بنُ زيد: نزلتْ بين مكَّةَ والمدينة. وهي ستٌّ وثلاثون آيةً[٥].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

فيه أربع مسائل:

= الفتح لإضافته إلى قوله: «لا تملك»؛ لأن ما أضيف إلى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر.

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٦٩ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٩ .

(٣) بعدها في النسخ: ومقاتل، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٢٢٥ ، والكلام منه.

(٤) قوله: ومقاتل، ليس في (د) و(م)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٢٥ .

الأولى: روى النَّسائيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ كانوا من أَخْبثِ الناسِ كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأَحْسَنُوا الكيلَ بعد ذلك[١]. قال الفرَّاء[٢]: فهم من أَوْفَى الناسِ كيلاً إلى يومهم هذا.

وعن ابن عباس أيضاً قال: هي أوّلُ سورةٍ نزلت على رسول الله ﷺ ساعةَ نزل المدينةَ. وكان هذا فيهم؛ كانوا إذا اشتَرَوا استَوْفَوا بكيلٍ راجحٍ، فإذا باعوا بَخَسوا المكيالَ والميزانَ، فلمَّا نزلت هذه السورةُ انتهوا، فهم أَوْفَى الناسِ كيلاً إلى يومهم هذا[٣].

وقال قومٌ: نزلتْ في رجلٍ يُعْرَفُ بأبي جهينةَ ـ واسمُه عمرو ـ كان له صاعان يأخذُ بأحدهما، ويعطي بالآخَرِ[٤]؛ قاله أبو هريرةَ ﷺ[٥].

الثانية: قولُه تعالى: «ويْلٌ» أي: شدةُ عذابٍ في الآخرة. وقال ابن عباس: إنَّه وادٍ في جهنمَ يسيلُ فيه صَديدُ أهلِ النار[٦]، فهو قولُه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي: الذين يَنْقُصُون مَكاييلَهم ومَوازينَهم.

ورُوِي عن ابن عمر قال: المطفِّف: الرجلُ يَستأجِرُ الكيَّالَ وهو يَعْلمُ أنه يَحِيفُ في كيله، فوِزْرُه عليه[٧].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (١١٥٩٠)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٢٢٢٣).

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٥ .

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وهو في معنى خبر ابن عباس الذي سلف. وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أول ما نزل بالمدينة «ويل للمطففين». الدر المنثور ٦/ ٣٢٣ .

(٤) أخرجه الثعلبي عن السدي، كما في الإصابة ١١/ ٦٩ ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٨٣ .

(٥) ينظر ما سيأتي ص١٣٤-١٣٥ من هذا الجزء.

(٦) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥١٥) عن ابن مسعود ﷺ، ولم نقف عليه عن ابن عباس، وقد سلف عنه أن الويل: المشقة والعذاب. ينظر ٢/ ٢٢١ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٧ . وفي إسناده إبراهيم بن يزيد، قال عنه الذهبي في التلخيص: واه.

وقال آخَرون: التطفيفُ في الكيلِ والوزنِ والوضوءِ والصلاةِ والحديث. وفي «الموطّأ»[١] قال مالك: ويقالُ: لكلِّ شيءٍ وفاءٌ وتَطْفيفٌ، وروي عن سالم بن أبي الجَعْد قال: [قال سلمان: الصلاةُ مِكْيالٌ]، فَمَن أوفَى أُوْفِيَ له، ومَن طَفَّف فقد عَلِمْتُم ما قال الله عز وجل في ذلك: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[٢].

الثالثة: قال أهلُ اللغةِ: المطفِّفُ مأخوذٌ من الطَّفِيف، وهو القليلُ، والمطفِّفُ هو المقلِّلُ حقَّ صاحبِهِ بنقصانه عن الحقِّ في كيلٍ أو وَزْنٍ. وقال الزجَّاج: إنَّما قيل للفاعل من هذا مطفِّفٌ؛ لأنه لا يكاد يسرقُ من المكيال والميزان إلَّا الشيءَ الطفيفَ الخفيَّ[٣]، وإنَّما أُخِذَ من طَفِّ الشيءِ، وهو جانبه.

وطِفَافُ المكُّوكِ وطَفَافُه بالكسر والفتح: ما ملأ أصْبارَه، وكذلك طَفُّ المَكُّوكِ وطَفَفُه؛ وفي الحديث: «كلُّكم بنو آدمَ، طَفّ الصَّاعِ لم تَمْلَؤوه». وهو أن يَقْرُبَ أن يمتلئَ فلا يفعل[٤]؛ والمعنى: بعضُكم قريبٌ من بعضٍ، فليس لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلَّا بالتقوى[٥]. والطُّفَافُ والطُّفَافةُ بالضم: ما فوقَ المِكيالِ، وإناءٌ طَفَّانُ: إذا بلغ الكيلُ[٦] طفافَه؛ تقول منه: أَطْفَفْتُ. والتطفيفُ: نَقْصُ المِكيالِ، وهو ألَّا تَملأَه إلى أَصبارِه، أي: جوانبه؛ يقال: أَدْهَقْتُ الكأسَ إلى أصبارها، أي: إلى رأسها. وقولُ ابنِ عمرَ حين ذَكَر [أن] النبيَّ ﷺ سَبَّق [بينَ] الخيلِ: كنتُ فارساً يومئذٍ فسبقتُ الناسَ، حتى طَفَّف بي الفرسُ مسجدَ بني زُرَيقٍ، حتى كاد يساوي المسجد. يعني: وثب بي[٧].

---

(١) ١/ ١٢.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٩٢)، وعبد الرزاق (٣٧٥٠)، والدولابي في الكنى ٢/ ١٤١، وما سلف بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٣) في (م): الخفيف، وفي معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٧: الحقير.

(٤) الصحاح (طفف)، والحديث أخرجه أحمد (١٧٣١٣) و(١٧٦٤٦) عن عقبة بن عامر ﷺ. قال السندي كما في حاشية المسند: أي: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام. وهو بالرفع خبرٌ بعد خبر، وقيل: بدلٌ أو خبرُ محذوفٍ، أو بالنصب حالٌ مؤكِّدة.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٥، وقوله: فليس لأحد...، قطعة من الحديث.

(٦) في (م) واللسان: الملء، والمثبت من النسخ الخطية والصحاح (طفف) والكلام منه.

(٧) الصحاح (طفف)، وما سلف بين حاصرتين منه.والحديث أخرجه أحمد (٤٤٨٧)، وبنحوه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم (١٨٧٠).

الرابعة: المطفِّفُ: هو الذي يُخْسِرُ في الكَيْلِ والوزن، ولا يُوفي، حَسْبَ ما بيَّناه. وروى ابن القاسم عن مالك: أنه قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فقال: لا تُطَفِّفْ ولا تَخْلُب[١]، ولكنْ أَرْسِلْ وصُبَّ عليه صَبًّا، حتى إذا استوى[٢] أَرْسِلْ يَدَكَ ولا تُمْسِك. وقال عبد الملك بن الماجشون: نهى رسول الله ﷺ عن مَسْحِ الطُّفاف، وقال: إنَّ البركةَ في رأسه. قال: وبلغني أنَّ كيلَ فرعونَ كان مسحاً بالحديدة[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ قال الفرَّاء: أي: مِن الناس؛ يقال: اكْتَلْتُ منكَ، أي: استَوْفَيتُ منك، ويقال: اكتلتُ عليك[٤]، أي: أخذتُ ما عليك. وقال الزجَّاج: أي: إذا اكتالوا من الناس استَوْفَوْا عليهم الكيلَ[٥]. والمعنى: الذين إذا استَوْفَوا أخذوا الزيادة، وإذا أَوْفَوا أو وَزَنوا لغيرهم نَقَصُوا، فلا يَرْضَوْن للناس ما يرضون لأنفسهم. الطبريُّ: «على» بمعنى عند[٦].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾: أي: كالوا لهم أو وَزَنوا لهم، فحذفت اللام، فتعدَّى الفعلُ فَنَصب، ومثلُه: نَصَحتُك ونصحتُ لك، وأَمَرْتُك به وأَمَرْتُكه؛ قاله الأخفشُ والفرَّاء[٧]. قال الفرَّاء: وسمعتُ أعرابيةً تقولُ: إذا صَدَرَ

---

(١) أي: لا تخدع. القاموس (خلب).

(٢) في (م): استوفى، والمثبت من النسخ الخطية، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٦ ، والكلام منه.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي: كان طفافاً مسحاً بالحديدة.

(٤) في النسخ: اكتلت ما عليك، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٦ ، والكشاف ٤/ ٢٣٠ ، وزاد المسير ٩/ ٥٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٧ .

(٦) كذا ذكر المصنف، والذي في تفسير الطبري ٢٤/ ١٨٦ : «الذين إذا اكتالوا على الناس»: الذين إذا اكتالوا من الناس، و«على» و«من» في هذا الموضع يتعاقبان.

(٧) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٣٤ ، وللفراء ٣/ ٢٤٥ - ٢٤٦ ، وما سيأتي منه أيضاً.

الناسُ أتينا التاجِرَ فيَكِيلُنا المُدَّ والمُدَّينِ إلى الموسم المقبل. قال: وهو مِن كلامِ أهل الحجازِ ومَن جاوَرَهم من قيس.

قال الزجاج[١]: لا يجوزُ الوقفُ على «كالُوا» و«وَزَنوا» حتى تَصِلَ به «هُمْ» قال: ومِن الناس مَن يجعلُها توكيداً، ويُجيز[٢] الوقفَ على «كالُوا» و«وزَنوا»، والأوّلُ الاختيارُ؛ لأنها حرفٌ واحدٌ. وهو قولُ الكسائيِّ[٣].

قال أبو عبيد: وكان عيسى بن عمر يجعلُها حرفين، ويقفُ على «كالوا» و«وزنوا»، ويبتدئُ: «هُمْ يُخسِرون»، قال: وأحسبُ قراءةَ حمزةَ كذلك أيضاً[٤].

قال أبو عبيد: والاختيارُ أن يكونا كلمةً واحدةً من جهتين:

إحداهما: الخطُّ؛ وذلك أنهم كتبوهما بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا: «كالوا» و«وزنوا»، بالألف.

والأخرى: أنه يقال: كِلْتُكَ ووزنتُك، بمعنى: كِلْتُ لك، ووزنتُ لك، وهو كلامٌ عربيٌّ، كما يقال: صِدْتُك وصِدْتُ لك، وكَسَبْتُك وكَسَبْتُ لَك، وكذلك شكرتُكَ ونَصَحْتُكَ ونحو ذلك.

قوله: «يُخْسِرون»، أي: يَنْقُصون، والعربُ تقول: أَخْسَرتُ الميزانَ وخَسَرتُه.

و«هم» في موضع نصبٍ على قراءةِ العامَّة، راجعٌ إلى الناس، تقديرُه: وإذا كالوا الناسَ أو وزنوهم يُخْسِرون. وفيه وجهان: أحدهما: أن يراد كالوا لهم أو وَزَنُوا لهم، فحُذف الجارُّ، وأُوْصِلَ الفعلُ، كما قال:

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٩٨ .

(٢) في (د) و(ظ): ويجوز، وفي معاني القرآن: فيجوز.

(٣) ذكره عنه أبو الليث ٣/ ٤٥٦ .

(٤) ذكر قول أبي عبيد البغوي ٤/ ٤٥٨ دون قوله: وأحسب قراءة حمزة كذلك أيضاً، وذكرها عن حمزة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٠ ، والمشهور عنه كقراءة الجماعة.

ولـقـد جَـنَـيْـتُـكَ أَكْـمُـؤاً وعَـسـاقِـلًا ولـقـد نـهـيـتُـكَ عـن بـنـاتِ الأَوْبَـرِ[١]

أراد: جنيتُ لك.

والوجهُ الآخرُ: أن يكون على حذفِ المضافِ، وإقامةِ المضافِ إليه مُقامَه، والمضافُ هو المكيلُ والموزون[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّكم معاشرَ الأَعاجِمِ وَلِيتُم أمرين بهما هَلَكَ مَن كان قبلكم: المِكيالَ والمِيزان. وخَصَّ الأعاجِمَ لأنَّهم كانوا يجمعون الكيلَ والوزنَ جميعاً، وكانا مُفَرَّقينِ في الحَرَمين؛ كان أهلُ مكةَ يَزِنون، وأهلُ المدينةِ يَكيلون[٣].

وعلى القراءةِ الثانيةِ «هُمْ» في موضعِ رفعٍ بالابتداء، أي: وإذا كالوا للناس أو وَزَنوا لهم فهم يُخْسِرون. ولا يصحُّ؛ لأنه تكون الأُولى مُلْغاةً ليس لها خبر، وإنَّما كانت تستقيمُ لو كان بعدها: وإذا كالواهم يَنْقُصون، أو وَزَنوا هم يُخْسِرون.

الثانية: قال ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ: «خمسٌ بخمسٍ: ما نَقَضَ قومٌ العهدَ إلَّا سَلَّط الله عليهم عدوَّهم، ولا حَكَموا بغيرِ ما أَنْزَلَ اللهُ إلَّا فشا فيهم الفقرُ، وما ظَهَرَت الفاحشةُ فيهم إلا فشا فيهم الطاعون، وما طَفَّفوا الكيلَ إلَّا مُنِعوا النَّباتَ، وأُخِذوا بالسِّنين، ولا مَنعوا الزكاةَ إلا حَبَس الله عنهم المَطَر»[٤] خرَّجه أبو بكر البزارُ بمعناه، ومالك بنُ أنسٍ أيضاً من حديث ابن عمر[٥]. وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»[٦].

---

(١) المقتضب ٤/ ٤٨، ومجالس ثعلب ص ٥٥٦، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٧٤، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٦٦، والخصائص ٣/ ٥٨، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٣١٩، والكشاف ٤/ ٢٣٠، والكلام منه. قال ثعلب: وعساقل وبنات أوبر: ضربان من الكمأة.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق، وخبر ابن عباس أخرجه هناد في الزاهد (٦٨١).

(٤) الوسيط ٤/ ٤٤٠ - ٤٤١، وتفسير الرازي ٣١/ ٨٨.

(٥) حديث ابن عمر في مسند البزار (١٦٧٦)، وأخرجه من طريق مالك ابن عبد البر في الاستذكار ١٤/ ٢١١، وهو في الموطأ ١/ ٤٦٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(٦) ص ٥٨٠.

وقال مالك بن دينار: دَخَلْتُ على جارٍ لي قد نزل به الموتُ، فجعل يقول: جَبَلَيْنِ من نار! جَبَلَيْنِ من نار! فقلتُ: ما تقولُ؟ أتَهْجُر؟ قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان؛ أكيلُ بأحدهما، وأكتالُ بالآخر؛ فقمتُ فجعلتُ أضربُ أحدَهما بالآخَر، حتى كَسَرتُهما، فقال: يا أبا يحيى، كلَّما ضربتُ أحدَهما بالآخَرِ ازدادَ عِظَماً، فمات من وَجَعِه[١].

وقال عكرمةُ: أشهدُ على كلِّ كيَّالٍ أو وزَّانٍ أنه في النار. قيل له: فإنَّ ابنك كيالٌ ـ أو وَزَّان ـ فقال: أشهدُ أنه في النار[٢].

قال الأصمعيُّ: وسمعتُ أعرابيةً تقولُ: لا تَلْتَمِس المروءةَ ممَّن مروءتُه في رؤوسِ المكاييل، ولا أَلْسِنةِ الموازين[٣]. ورُوي ذلك عن عليٍّ ﷺ. وقال عبدُ خير: مرَّ عليٌّ ﷺ على رجلٍ وهو يَزِنُ الزعفرانَ وقد أَرْجَح، فأَكْفَأَ الميزانَ ثم قال: أَقِمِ الوزنَ بالقِسْطِ؛ ثم أَرْجِحْ بعد ذلك ما شئت. كأنه أَمَرَه بالتسويةِ أولاً؛ ليعتادها، ويَفْصِلَ الواجبَ من النفل[٤].

وقال نافع: كان ابنُ عمر يمرُّ بالبائع فيقول: اتَّقِ اللهَ وأَوْفِ الكيلَ والوزنَ بالقسط، فإنَّ المطفِّفين يومَ القيامة يُوْقَفون حتى إنَّ العَرَق ليُلْجِمُهم إلى أنصاف آذانهم[٥].

وقد رُوِي أنَّ أبا هريرةَ قَدِمَ المدينةَ وقد خرج النبيُّ ﷺ إلى خيبرَ واستَخْلَفَ على المدينة سِباع بنَ عُرْفُطة، فقال أبو هريرةَ: فوجدناه في صلاةِ الصُّبحِ، فقرأ في الركعةِ

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٤١ دون قولِه: حتى كسرتهما. وقولُه: أتهجر، أي: أتهذي، في القاموس (هجر): هَجَر في نومه ومرضه هُجْراً بالضم: هذى.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٠ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٨٦ مطولاً دون قوله: قيل له إن ابنك..

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٣٠ ، عن أبيٍّ ﷺ. وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩ عن بعض العرب.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٠ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٥٨ .

الأولى: ﴿كَهِيعَصٓ﴾ وقرأ في الركعة الثانية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. قال أبو هريرة: فأقولُ في صلاتي: ويْلٌ لأبي فلان؛ كان له مكيالان، إذا اكتالَ اكتالَ بالوافي، وإذا كالَ كالَ بالناقِص[1].

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إنكارٌ وتَعْجيبٌ عظيمٌ من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يُخْطِرون[2] ببالهم، ولا يُخمِّنون تخميناً ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فمسؤولون عمَّا يفعلون. والظنُّ هنا بمعنى اليقينِ، أي: أَلا يُوقنُ أولئك، ولو أيْقنوا ما نَقَصوا في الكيل والوزن. وقيل: الظنُّ بمعنى التردُّدِ، أي: إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلَّا ظَنُّوه، حتى يتدبَّروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأَحْوَط ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ شأنُه وهو يومُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **فيه أربعُ مسائلَ:**

الأولى: العاملُ في «يومَ» فعلٌ مُضْمَرٌ دلَّ عليه «مبعوثون»، والمعنى: يُبْعثون يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين. ويجوز أن يكونَ بدلاً من «يوم» في «لِيومٍ عظِيم»، وهو مبنيٌّ. وقيل: هو في موضع خفضٍ؛ لأنَّه أُضيفَ إلى غيرِ متمكِّن. وقيل: هو منصوبٌ على الظَّرف، أي: في يوم. ويقال: أَقِمْ إلى يومَ يَخْرجُ فلان، فتنصبُ يوم، فإنْ أضافوا إلى الاسم فحينئذٍ يخفضون ويقولون: أَقم إلى يومِ خُروجِ فلان[3]. وقيل: في الكلام

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥٥٢). وسباع بن عُرفُطة الغفاري، ويقال له: الكناني، له ذكر في حديث أبي هريرة هذا، وقال أبو حاتم: استعمله النبي ﷺ في غزوة دُومة الجندل. الإصابة ٤/ ١١٩ .

(٢) بعدها في (م): التطفيف، والمثبت من النسخ الخطية والكشاف ٤/ ٢٣١ ، والكلام منه.

(٣) وهذا على مذهب الكوفيين، وهو بناء الظرف على الفتح إذا أضيف إلى الجملة الفعلية وإن كانت معربة، وأما البصريون فلا يجيزون البناء إلا إذا صدِّرت الجملة المضاف إليها بفعل ماض. الدر المصون ٤/ ٥٢٠ .

تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقديرُ: إنَّهم مبعوثون يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ليومٍ عظيم.

الثانية: وعن عبد الملك بن مروان: أنَّ أعرابيًّا قال له: قد سمعتَ ما قال الله تعالى في المطفِّفين ـ أراد بذلك أنَّ المطفِّفين قد تَوَجَّه عليهم هذا الوعيدُ العظيمُ الذي سمعتَ به ـ فما ظنُّك بنفسك وأنت تأخُذُ أموالَ المسلمين بلا كيلٍ ولا وزْن[١]؟

وفي هذا الإنكارِ والتعجيبِ وكلمةِ الظَّنِّ، ووَصْفِ اليومِ بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصفِ ذاته بربِّ العالمين، بيانٌ بليغٌ لِعظَمِ الذَّنْبِ، وتَفاقُمِ الإثم في التَّطْفيف، وفيما كان في مثلِ حاله من الحَيْفِ وتركِ القيامِ بالقِسْطِ، والعَمَلِ على التسوية والعَدْل في كلِّ أَخْذٍ وإعطاءٍ، بل في كلِّ قولٍ وعمل[٢].

الثالثة: قرأ ابن عمر: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فبكى حتى سَقَط، وامتنع من قراءةِ ما بَعْدَه، ثم قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين، في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، فمنهم مَن يَبْلُغ العرَقُ كعبيه، ومنهم مَن يَبْلُغُ ركبتيه، ومنهم مَن يبلغُ حِقْوَيْه، ومنهم مَن يبلغُ صدرَه، ومنهم مَن يبلغُ أذنيه، حتى إنَّ أحدهم ليغيبُ في رَشْحِه كما يغيبُ الضِّفدع»[٣].

وروى ناسٌ عن ابن عباس قال: يقومون مقدارَ ثلاثِ مئةِ سنة. قال: ويَهونُ على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة[٤].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣١ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) لم نقف عليه بهذا السياق، والموقوف منه أخرجه أحمد في الزهد ص٢٤٠ ، وهناد في الزهد (٣٣٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٠٥ . وأخرج المرفوع مختصراً أحمد (٥٩١٢). وللمرفوع شاهد من حديث المقداد ﷺ عند أحمد (٢٣٨١٣)، ومسلم (٢٨٦٤). وآخر من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (١٧٤٣٩). وثالث من حديث أبي أمامة عند أحمد (٢٢١٨٦). وينظر ما سيأتي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) ذكر الجزء الثاني منه الرازي ٣١/ ٩١ ، وأخرجه بتمامه ابن مردويه عن حذيفة، وعبد بن حميد عن قتادة، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٤ .

ورُوي عن عبد الله بن عمر عن النبيِّ ﷺ قال: «يقومون ألفَ عامٍ في الظُّلْمَة»[١].

وَرَوَى مالك عن نافعٍ، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال: «يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين، حتى إنَّ أحدهم ليقومُ في رَشْحِه إلى أنصافِ أُذنيه»[٢]. وعنه أيضًا عن النبيِّ ﷺ: «يقوم مئةَ سنةٍ»[٣].

وقال أبو هريرةَ: قال النبيُّ ﷺ لبشيرٍ الغِفاريِّ: «كيف أنت صانعٌ في يومٍ يقومُ الناسُ فيه مقدارَ ثلاثِ مئة سنةٍ لربِّ العالمين، لا يأتيهم فيه خبرٌ، ولا يؤمَرُ فيه بأمرٍ» قال بشير: المستعانُ الله[٤].

قلت: قد ذكرناه مرفوعاً من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ عن النبيِّ ﷺ: «إنَّه لَيُخفَّفُ عن المؤمن، حتى يكونَ أخفَّ عليه من صلاةٍ المكتوبة يصلِّيها في الدنيا» في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾[٥].

وعن ابن عباس: يَهونُ على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة[٦].

وقيل: إنَّ ذلك المقامَ على المؤمن كزوال الشمس. والدليلُ على هذا من الكتاب قولُه الحقُّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم وَصَفَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] جَعَلَنا الله منهم بفضله وكرمه وجُوده ومَنِّه آمين.

وقيل: المرادُ بالناسِ جبريلُ عليه السلام يقومُ لربِّ العالمين؛ قاله ابن جُبير[٧].

---

(١) في (د) و(م): في الظلة. ولم نقف عليه، وأخرج نحوه مطولاً الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧ وقال: فيه هشام بن بلال لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٧ ، وأخرجه من طريق مالك البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٧ ، وأخرجه موقوفاً الطبري ٢٤/ ١٨٩ - ١٩٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٠ ، وفي إسناده عبد السلام بن عجلان، قال الذهبي في الميزان ٢/ ٦١٨ : قال أبو حاتم: يكتب حديثه، وتوقَّف غيره في الاحتجاج به.

(٥) ٢١/ ٢٢٥ ، وسلف أيضاً ١٥/ ٣٩٩ ، وأخرجه أحمد (١١٧١٧).

(٦) سلف قريباً.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٢٧ .

وفيه بُعدٌ؛ لِمَا ذَكَرْنا من الأخبار في ذلك، وهي صحيحةٌ ثابتةٌ، وحَسْبُك بما في «صحيح» مسلم والبخاريِّ والترمذيِّ من حديثِ ابنِ عمرَ عن النبيِّ ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «يقومُ أحدُهم في رَشْحِه إلى نِصْفِ أُذُنَيْه»[١].

ثم قيل: هذا القيامُ يومَ يقومون من قبورهم. وقيل: في الآخرة بحقوقِ عبادِهِ في الدنيا. وقال يزيد الرشك: يقومون بين يديه للقضاء[٢].

الرابعة: القيامُ لله ربِّ العالمين سبحانه حَقيرٌ بالإضافة إلى عَظَمتِه وحَقِّه، فأمَّا قيامُ الناسِ بعضِهم لبعضٍ فاختَلفَ فيه الناس؛ فمنهم مَن أجازه، ومنهم مَن مَنَعه. وقد رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ قام إلى جعفر بنِ أبي طالب واعْتَنَقَه، وقام طلحةُ لكعب بنِ مالكٍ يومَ تِيبَ عليه. وقال النبيُّ ﷺ للأنصار حين طلع عليه سعد بنُ مُعاذ: «قوموا إلى سيدكم». وقال أيضاً: «مَن سرَّه أن يَتَمثَّلَ له الناسُ قياماً فلْيتبوَّأْ مقعدَه من النار». وذلك يَرجعُ إلى حالِ الرجلِ ونيَّته، فإن انتظرَ ذلك واعتقده لنفسه [حقًّا]، فهو ممنوعٌ، وإن كان على طريق البشاشةِ والوُصْلةِ فإنَّه جائز، وخاصةً عند الأسباب، كالقدوم من السَّفر ونحوِه[٣]. وقد مضى في آخر سورة يوسف شيءٌ من هذا[٤].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال قومٌ من أهل العلم بالعربية:

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٣٨)، وصحيح مسلم (٢٨٦٢)، وسنن الترمذي (٣٣٣٦)، وهو عند أحمد (٤٦١٣)، وسلف قريباً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٢٦ - ٢٢٧ . ويزيد الرشك هو ابن أبي يزيد الضُّبَعيُّ مولاهم، أبو الأزهر البصري، قيل: كان غيوراً فسمي بالفارسية أرشك، فقيل: الرشك. وقيل: الرشك بالفارسية: الكبير اللحية، توفي سنة (١٣٠هـ). التهذيب ٤/ ٤٣٤ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٧ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) ١١/ ٤٥٧ ، وسلف ثمة حديث: «قوموا إلى سيدكم» وحديث: «من سره...». أما حديث قيام طلحة لكعب فسلف ١٠/ ٤١٨ ضمن حديث كعب بن مالك الطويل في التخلف عن غزوة تبوك.

«كَلَّا»: رَدْعٌ وتنبيهٌ، أي: ليس الأمرُ على ما هم عليه من تَطْفيفِ الكَيْلِ والميزان، أو تكذيبٍ بالآخرة، فلْيرتَدِعوا عن ذلك. فهي كلمةُ رَدْعٍ وزَجْرٍ، ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾.

وقال الحسن: «كلَّا» بمعنى حَقًّا[١]. ورَوَى ناسٌ عن ابن عباس: «كَلَّا» قال: ألَا تصدِّقون[٢]. فعلى هذا: الوقفُ «لِربِّ العالمِين».

وفي تفسير مقاتل: إنَّ أعمالَ الفجَّار. وروى ناسٌ عن ابن عباس قال: إنَّ أرواحَ الفجَّارِ وأعمالَهم «لَفي سِجِّينٍ».

وروى ابنُ نَجيح عن مجاهد قال: سجِّين صخرةٌ تحت الأرضِ السابعة، تُقْلَبُ فيُجْعَلُ كتابُ الفجَّار تحتها[٣]. ونحوه عن ابن عباسٍ وقتادةَ وسعيد بن جُبير ومقاتلٍ وكعبٍ؛ قال كعب: تحتها أرواحُ الكفَّارِ تحت خدِّ إبليس[٤].

وعن كعب أيضاً قال: سجِّين صخرةٌ سوداءُ تحت الأرضِ السابعة، مكتوبٌ فيها اسمُ كلِّ شيطانٍ، تُلْقَى أَنْفُسُ الكفَّارِ عندها.

وقال سعيد بن جبير: سجِّين تحت خدِّ إبليس[٥]. يحيى بنُ سلام: حجرٌ أسودُ تحت الأرض، يُكْتَبُ فيه أرواحُ الكفار[٦]. وقال عطاءٌ الخُراسانيُّ: هي الأرضُ السابعةُ السُّفْلَى، وفيها إبليسُ وذرِّيته[٧].

وعن ابن عباس قال: إنَّ الكافر يَحْضُره الموت، وتَحْضُره رسلُ الله، فلا

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٤٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥٨ ولفظه: «كلا» ابتداء يتصل بما بعده على معنى: حقًّا.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١ عن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٧ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ١٩٣ - ١٩٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٦ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٢٨ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٥٩ .

يستطيعون لبُغْضِ اللهِ وبُغْضِهم إياه أنْ يؤخِّروه ولا يعجلوه حتى تجيءَ ساعتُه، فإذا جاءت ساعتُه قَبَضوا نَفْسَه، ورفعوه إلى ملائكة العذاب، فأَرَوْه ما شاء الله أَنْ يُرُوه من الشرِّ، ثم هَبَطوا به إلى الأرض السابعة، وهي سِجِّين، وهي آخِرُ سلطانِ إبليسَ، فأَثْبَتوا فيها كتابه[١].

وعن كعبِ الأحبارِ في هذه الآية قال: إنَّ رُوحَ الفاجِرِ إذا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بها إلى السماء، فتأبَى السماء أن تقبلها، ثم يُهْبَطُ بها إلى الأرض، فتأبى الأرضُ أن تَقْبلَها، فتدخلُ في سبعِ أَرَضِينَ، حتى يُنْتَهى بها إلى سِجِّين، وهو خدُّ إبليسَ، فيُخرجُ لها من سجينٍ من تحت خدِّ إبليس رَقٌّ، فيُرْقَم فيوضعُ تحت خدِّ إبليس[٢]. وقال الحسن: سجين في الأرض السابعة.

وقيل: هو ضربُ مثلٍ وإشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى يَردُّ أعمالَهم التي ظنُّوا أنَّها تنفعُهم.

قال مجاهد: المعنى: عملُهم في الأرضِ السابعةِ لا يصعدُ منها شيء[٣]. وقال: سجين صخرةٌ في الأرض السابعة[٤].

وروى أبو هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «سجين جُبٌّ في جهنمَ وهو مفتوحٌ» وقال في الفَلَق: «إنه جُبٌّ مُغَطًّى»[٥].

وقال أنس: هي دَرَكَةٌ في الأرض السُّفلى. وقال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «سجِّين أسفلَ سبع أرضين»[٦].

---

(١) قطعة من خبر طويل أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٧ ، وهو فيه من كلام كعب الأحبار في جوابه على سؤال ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٤ .

(٣) الصدر السابق .

(٤) سلف قريباً.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٦ . وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أن هذا الحديث غريب منكر لا يصح.

(٦) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣٥٢٠)، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٢٧ ، والبغوي ٤/ ٤٥٩ من حديث البراء بن عازب ﷺ، ولم نقف عليه عن أنس ﷺ.

وقال عِكرمة: سِجِّين: خَسارٌ وضلال[١]، كقولهم لمن سَقَط قَدْرُه: قد زَلَق بالحضيض.

وقال أبو عبيدةَ والأخفشُ والزجَّاج: «لفي سجِّين» لفي حَبْسٍ وضيقٍ شديدٍ، فِعيِّل من السّجن، كما يقالُ: فِسِّيق وشِرِّيب[٢]؛ قال ابنُ مُقْبِلٍ:

ورُفقةً يَضْرِبون البَيْضَ ضاحِيةً ضَرْبًا تَوَاصَتْ به الأبطالُ سِجِّينا[٣]

والمعنى: كتابُهم في حَبْسٍ، جُعل ذلك دليلاً على خساسةِ منزلتهم، أو لأنه يَحُلُّ من الإعراضِ عنه والإبعادِ له مَحَلَّ الزَّجْرِ والهَوَان.

وقيل: أصلُه سجِّيل، فأُبْدِلَتْ اللامُ نوناً. وقد تقدَّم ذلك[٤].

وقال زيد بنُ أَسْلَمَ: سِجين الأرضُ السَّافِلة، وسِجِّيل السماء الدنيا[٥].

القُشيريُّ: سجِّين: موضعٌ في السَّافِلِينَ، يُدْفَنُ فيه كتابُ هؤلاء، فلا يَظْهَرُ بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون. وهذا دليلٌ على خُبْثِ أعمالهم، وتحقيرِ اللهِ إياها، ولهذا قال في كتاب الأبرار: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: ليس ذلك ممَّا كنتَ تَعْلَمه يا محمدُ أنت ولا قومُك. ثم فسَّره له فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوبٌ كالرَّقْم في الثوب، لا يُنْسَى ولا يُمْحَى. وقال قتادة: «مرقومٌ» أي: مكتوبٌ، رُقِمَ له بَشَرٌ[٦]، لا يُزادُ فيهم أحدٌ ولا ينقصُ منهم أحد.

---

(١) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٥ دون قوله: وضلال.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٨ ، وقول الأخفش في النكت والعيون ٦/ ٢٢٨ .

(٣) ديوان ابن مقبل ص٣٣٣ ، والمعاني الكبير ٢/ ٩٩١ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٢٩ ، والصحاح (سجن)، ومنتهى الطلب ١/ ٣٦٦ ، وفيها جميعاً: ورَجْلةً يضربون البيض عن عُرُضٍ. البيض جمع بيضة، وهي الخوذة. المعجم الوسيط (بيض). وسلف البيت ١١/ ١٨٨ .

(٤) ١١/ ١٨٦ - ١٨٨ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٢٧ .

(٦) في النسخ: رقم لهم بشر، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٢٢٨ ،والكلام منه. وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٩٨ دون قوله: لا يزاد فيهم... ، وهو في تفسير البغوي ٤/ ٤٥٩، وزاد المسير ٩/ ٥٥ بلفظ: رقم له بشرٌ كأنه عُلِّم بعلامة يعرف بها أنه كافر. وفي تفسير الرازي ٣٢/ ٩٣: رقم لهم بسوء، أي: كتب لهم بإيجاب النار.

وقال الضحَّاك: مَرْقُومٌ: مختومٌ، بلغةِ حِمْيَر[١]. وأصلُ الرَّقْم: الكتابةُ؛ قال:

سأَرقُمُ في الماءِ القَراحِ إليكُمُ على بُعْدِكم إن كان للماءِ راقِمُ[٢]

وليس في قوله: «وما أدراك ما سِجِّين؟» ما يدلُّ على أنَّ لَفْظَ سجينٍ ليس عربيًّا، كما لا يدلُّ في قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ بل هو تعظيمٌ لأمرِ سجِّينٍ. وقد مضى في مقدِّمة الكتاب ـ والحمدُ لله ـ أنه ليس في القرآن غيرُ عربيٍّ[٣].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: شدةٌ وعذابٌ يومَ القيامةِ للمكذِّبين. ثم بيَّن تعالى أَمْرَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الحسابِ والجزاء والفَصْل بين العباد ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: فاجرٍ جائرٍ عن الحقِّ، مُعْتَدٍ على الخَلْقِ في معاملته إياهم، وعلى نفسه، وهو أثيمٌ في تَرْكِ أمرِ الله. وقيل: هذا في الوليد بن المغيرة وأبي جهلٍ ونُظرائِهما؛ لقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقراءةُ العامَّةِ: «تُتْلَى» بتاءين، وقرأ أبو حَيْوَة وأبو سِمَاكٍ وأشهبُ العُقَيليُّ والسُّلَميُّ: «إذا يُتْلَى» بالياء[٤]. وأساطيرُ الأولين: أحاديثُهم وأَباطيلُهم التي كتبوها وزَخْرفوها. واحدُها أُسْطورة وإِسطارة، وقد تقدَّم[٥].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: «كلَّا»: رَدْعٌ وزَجْر، أي: ليس هو أساطيرَ الأَولينَ. وقال الحسن: معناها: حقًّا رانَ على قلوبهم.

---

(١) ذكره البغوي ٤/٤٥٩ دون نسبة، وذكره عن الضحاك الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٢٨ دون قوله: بلغة حمير.

(٢) البيت لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص ١١٦ ، واللسان (رقم)، وفيه: وقولهم: هو يَرقم في الماء، أي: بلغ من حذقه بالأمور أن يرقم حيث لا يثبت الرقم. اهـ. والقراح: الخالص. القاموس (قرح).

(٣) ١/١١٠ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٧٠ .

(٥) ٨/٣٤٦ .

وفي الترمذيِّ عن أبي هُريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبدَ إذا أَخْطَأَ خَطيئةً نُكِتَتْ في قلبه نُكْتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ الله وتاب صُقِلَ قلبُه، فإن عاد زِيدَ فيها، حتى تَعْلُوَ على قلبه، وهو الرَّانُ الذي ذَكَر اللهُ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾». قال: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

وكذا قال المفسِّرون: هو الذنبُ على الذنبِ حتى يَسْودَّ القلبُ. قال مجاهد: هو الرجل يُذْنبُ الذَّنْبَ، فيحيطُ الذنبُ بقلبه، ثم يُذْنبُ الذَّنْبَ فيحيطُ الذَّنْبُ بقلبه، حتى تُغشِّيَ الذنوبُ قلبه. قال مجاهد: هي مِثْلُ الآيةِ التي في سورةِ البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآيةَ [الآية: ٨١][(٢)]. ونحوه عن الفراء[(٣)]؛ قال: يقول: كَثُرتِ المعاصي منهم والذنوبُ، فأحاطَتْ بقلوبهم، فذلك الرَّيْنُ عليها.

ورُوي عن مجاهد أيضاً قال: القلبُ مثلُ الكفِّ ـ ورَفَع كفَّه ـ فإذا أَذْنبَ العبدُ الذَّنْبَ انْقَبضَ، وضمَّ إصْبِعَه، فإذا أَذْنبَ الذَّنْبَ[(٤)] انْقَبَضَ، وضمَّ أخرى ـ حتى ضمَّ أصابعَه كلَّها ـ حتى يُطْبَع على قلبه. قال: وكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلك هو الرَّين، ثم قرأ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[(٥)]. ومثلُه عن حذيفةَ ﷺ سواء[(٦)].

وقال بكر بن عبد الله: إنَّ العبد إذا أَذْنَبَ صار في قلبه كوخزةِ الإبرة، ثم إذا أَذْنَبَ ثانياً صار كذلك، ثم إذا كَثرتِ الذنوبُ صار القلبُ كالمُنْخُلِ، أو كالغِرْبالِ، لا يعي خيراً، ولا يثبُتُ فيه صلاحٌ. وقد بيَّنا في «البقرة» القولَ في هذا المعنى بالأخبارِ الثابتةِ عن رسول الله ﷺ، فلا معنَى لإعادتها[(٧)].

وقد روى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيد، عن موسى بنِ عبد الرحمن، عن ابن جُريجٍ، عن

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٤)، وهو عند أحمد (٧٩٥٢)، وسلف بنحوه ١/ ٢٨٧.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٠١ و٢٠٤.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٦.

(٤) في (د): أخرى.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٢٠٦).

(٧) ينظر ما سلف ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

عطاءٍ، عن ابن عباس. وعن موسى، عن مقاتلٍ، عن الضحَّاكِ، عن ابن عباس شيئاً اللهُ أَعْلَمُ بصحَّته؛ قال: هو الرّانُ الذي يكونُ على الفخذينِ والساقِ والقدم، وهو الذي يُلْبَسُ في الحرب. قال: وقال آخرون: الران: الخاطِرُ الذي يَخْطُر بقلب الرجل[١]. وهذا ممَّا لا يُضْمَنُ عُهْدةُ صِحَّتِهِ. فالله أعلم.

فأمَّا عامَّةُ أهلِ التفسيرِ فَعَلَى ما قد مضى ذِكْرُه قبلَ هذا. وكذلك أهلُ اللغة عليه؛ يقال: رَانَ على قلبه ذَنْبُه يَرِين رَيْناً ورُيوناً، أي: غَلَبَ. قال أبو عُبيدةَ في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غَلَبَ. وقال أبو عُبيدٍ: كلُّ ما غَلَبك فقد رانَ بك، ورانَكَ، ورانَ عليك[٢]؛ وقال الشاعر:

وكَمْ رانَ مِن ذنبٍ على قَلْبِ فاجِرٍ فتابَ مِن الذَّنْبِ الذي رَانَ وانْجَلَى[٣]

ورانت الخمرُ على عقله، أي: غلبته، وران عليه النُّعاسُ: إذا غطَّاه، ومنه قولُ عمرَ في الأُسَيفع ـ أُسَيْفع جُهَيْنةَ ـ: فأصبح قد رِيْنَ به[٤]. أي: غَلَبَتْه الديون، وكان يَدَّانُ. ومنه قولُ أبي زُبَيدٍ يَصِفُ رجلاً شرب حتى غَلَبه الشرابُ سُكْراً، فقال:

ثم لمَّا رآه رانَتْ به الخمـ ـرُ وأَنْ لا تَرِينه باتِّقاءِ[٥]

فقوله: رانَتْ به الخمرُ، أي: غَلَبتْ على عَقْلِه وقلبه. وقال الأمويُّ: قد أَران

---

(١) لم نقف عليه، وموسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، قال عنه ابن حبان: دجَّال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير. الميزان ٤/ ٢١١ .

(٢) الصحاح (رين). وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٩ . وقول أبي عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٧٠ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٢٩ .

(٤) أخرجه مالك في الموطا ٢/ ٧٧٠ ، وسلف ٦/ ٥٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٩ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٧٠ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٩٩ ، والبيت في طبقات الفحول ٢/ ٦٠٤ ، والمعاني الكبير ١/ ٤٦٢ ، والأغاني ١٢/ ١٣٢ برواية: يريبه، بدل: ترينه.

قال الأستاذ محمود شاكر في حاشية طبقات الفحول: رابه يريبه: شك في أمره. ودعاه إلى الريبة فيه، أراد: لم يشك فيه ولم يتق شره.

القومُ فيهم مُرِينُون: إذا هَلَكَتْ مواشيهم أو هُزِلَتْ. وهذا من الأمر الذي أتاهم مما يغلبهم ولا يستطيعون احتمالَه. قال أبو زيد: يقال: قد رِينَ بالرجل رَيْناً: إذا وقع فيما لا يستطيعُ الخروجَ منه، ولا قِبَلَ له به[١].

وقال أبو مُعاذٍ النَّحْويُّ: الرَّينُ: أن يسودَّ القلبُ من الذنوب، والطَّبعُ: أن يُطْبَع على القلب، وهذا أشدُّ من الرَّين، والإقفالُ أشدُّ من الطَّبع[٢].

الزَّجَّاج: الرَّيْن: هو كالصَّدأ يُغَشِّي القلبَ كالغيم الرقيق، ومثلُه الغين، يقال: غِينَ على قلبه: غُطِّي[٣]. والغِيْنُ: شجرٌ ملتفٌّ، الواحدةُ غَيْناءُ، أي: خَضْراءُ كثيرةُ الورقِ مُلْتفَّةُ الأغصان[٤]. وقد تقدَّم قولُ الفراءِ: أنه إحاطةُ الذَّنبِ بالقلوب. وذَكَر الثعلبيُّ عن ابن عباس: «ران على قلوبهم»، أي: غطَّى عليها[٥]. وهذا هو الصحيحُ عنه إن شاء الله.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ والأعمشُ وأبو بكر والمفضَّلُ: «ران» بالإمالة؛ لأنَّ فاءَ الفعل الراءُ، وعينه الألفُ منقلبة من ياء، فحَسُنَتِ الإمالةُ لذلك. ومَن فَتَحَ فعلَى الأصلِ؛ لأنَّ بابَ فاءِ الفعلِ في «فَعَلَ» الفتحُ، مثل: كالَ وباعَ ونحوه. واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم. ووقف حفصٌ «بَلْ» ثم يبتدئُ «رَانَ»[٦] وَقْفاً يُبيِّن اللامَ، لا للسَّكْت.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ﴾ أي: حقًّا، «إنَّهم» يعني الكفارَ ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ القيامة: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾. وقيل: «كلَّا» ردعٌ وزَجْر، أي: ليس كما يقولون، بل «إنَّهم عن ربِّهم يومَئذٍ لمحجوبون».

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٧١، وتهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥.

(٣) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٩.

(٤) الصحاح (غين).

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٠٣ بلفظ: طبع على قلوبهم ما كسبوا.

(٦) التيسير ص ١٤٢ و٢٢٠.

قال الزجَّاج[١]: في هذه الآيةِ دليلٌ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآيةِ فائدةٌ، ولا خَسَّتْ منزلةُ الكفارِ بأنَّهم يُحْجَبون. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فأَعْلَمَ الله جلَّ ثناؤه أنَّ المؤمنين ينظرون إليه، وأَعْلَمَ أنَّ الكفار محجوبون عنه.

وقال مالك بن أنس في هذه الآيةِ: لمَّا حَجَبَ أعداءَه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائه حتى رَأَوْه. وقال الشافعيُّ: لمَّا حجب قوماً بالسُّخْطِ، دلَّ على أنَّ قوماً يَرَوْنه بالرضا. ثم قال: أمَا واللهِ لو لم يُوْقِنْ محمد بنُ إدريس أنَّه يَرى ربَّه في المَعَادِ لَمَا عَبَدَه في الدنيا. وقال الحسين بن الفضل: كما[٢] حجبهم في الدنيا عن نور تَوْحيدِه حجبهم في الآخرة عن رؤيته[٣].

وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾، أي: عن كرامته ورحمته ممنوعون[٤].وقال قتادةُ: هو أنَّ الله لا ينظرُ إليهم برحمته، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم[٥].

وعلى الأول الجمهورُ، وأنَّهم محجوبون عن رؤيته فلا يَرَوْنه.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: مُلازِمُوها ومُحْتَرِقون فيها غير خارِجين منها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] و﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. ويقال: الجحيم: البابُ الرابعُ من النار. ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم، أي: تقولُ لهم خَزَنةُ جهنَّم ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسلَ اللهِ في الدنيا.

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٩٩ .

(٢) في (م): لما.

(٣) ذكره هذه الأقوال الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٤٦ .

(٤) ذكره البغوي ٤/ ٤٦٠ دون نسبة.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٠٤ - ٢٠٥ . وذكره البغوي ٤/ ٤٦٠ .

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ «كَلَّا» بمعنى: حقًّا، والوقفُ على «تكذِّبون». وقيل: أي: ليس الأمرُ كما يقولون ولا كما ظنُّوا، بل كتابُهم في سجِّين، وكتابُ المؤمنين في علِّيين. وقال مقاتل: كَلَّا، أي: لا يؤمنون بالعذاب الذي يَصْلَونه. ثم استأنف فقال: «إن كتاب الأبرارِ» مرفوعٌ في علِّيين على قَدْرِ مَرْتَبتهم. قال ابن عباس: أي: في الجنة. وعنه أيضاً قال: أعمالُهم في كتابٍ [عند] الله في السماء.

وقال الضحَّاك ومجاهدٌ وقتادةُ: يعني السماءَ السابعةَ فيها أرواحُ المؤمنين.

ورَوَى الأَجْلَحُ عن الضحَّاك قال: هي سِدْرةُ المنتهى، ينتهي إليها كلُّ شيءٍ من أَمْرِ اللهِ لا يَعْدُوها، فيقولون: ربِّ! عَبْدُكَ فلان، وهو أَعْلَمُ به منهم، فيأتيه كتابٌ من الله عزَّ وجلَّ مختومٌ بأمانه من العذاب. فذلك قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

وعن كعب الأحبار قال: إنَّ روحَ المؤمنِ إذا قُبِضَتْ صُعِدَ بها وفُتِحَتْ لها أبوابُ السماءِ، وتلقَّتها الملائكةُ بالبُشْرَى، ثم يَخْرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرجُ لهم من تحت العرشِ رَقٌّ، فيُرْقَم ويُختَم فيه النجاةُ من الحساب يومَ القيامة، ويَشْهدُه المقرَّبون.

وقال قتادةُ أيضاً: «في علِّيين» هي فوقَ السماءِ السابعةِ عند قائمةِ العرشِ اليمنى[1]. وقال البَرَاء بن عازِبٍ: قال النبيُّ ﷺ: «عِلِّيون في السماء السابعةِ تحت العرش»[2].

وعن ابن عباسٍ أيضاً: هو لوحٌ من زَبَرْجَدَةٍ خضراءَ معلَّقٌ بالعرش، أعمالُهم مكتوبةٌ فيه[3].

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٤/ ٢٠٧ و٢١٠ ، وما بين سلف بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٤٧ ، وينظر الحديث (١٨٥٣٤) في مسند أحمد عن البراء ﷺ.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٠ .

وقال الفرَّاء: عِلِّيون: ارتفاعٌ بعد ارتفاع[١]. وقيل: علِّيون: أَعْلَى الأمكنةِ[٢]. وقيل: معناه: علوٌّ في علوٍّ مضاعَف كأنه لا غايةَ له؛ ولذلك جُمع بالواو والنُّون. وهو معنى قولِ الطبريِّ[٣]. قال الفرَّاء: هو اسمٌ موضوعٌ على صفةِ الجمع، ولا واحدَ له من لَفْظِه، كقولك: عشرون وثلاثون، والعربُ إذا جَمَعَتْ جمعاً ولم يكن له بناءٌ مِن واحدِهِ ولا تثنيةٌ، قالوا في المذكَّر والمؤنَّث بالنون[٤]. وهو معنى قولِ الطبريِّ[٥]. وقال الزجَّاج[٦]: إعرابُ هذا الاسم كإعرابِ الجمع [لأنه على لفظ الجمع]، كما تقول: هذه قِنَّسرون، ورأيتُ قِنَّسرين.

وقال يونس النحويُّ: واحدُها: علِّيٌّ وعِلِّيةٌ. وقال أبو الفتح: عِلِّيين: جمعُ عِلِّيٍّ، وهو فِعِّيل من العُلُوِّ. وكان سبيلُه أن يقول: عِلِّية، كما قالوا للغرفة عِلِّية؛ لأنَّها من العلوِّ، فلمَّا حُذِفَتِ التاءُ من عِلِّية عوَّضوا منها الجمعَ بالواو والنون، كما قالوا في أَرضين[٧].

وقيل: إنَّ علِّيين صفةٌ للملائكة، فإنَّهم الملأُ الأعلى، كم يقال: فلانٌ في بني فلانٍ؛ أي: هو في جُمْلتهم وعندهم. والذي في الخبر من حديثِ ابنِ عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أهلَ عِلِّيين لَيَنْظُرون إلى الجنة من كذا[٨]، فإذا أَشْرَفَ رجلٌ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٧.

(٢) هو قول الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٩٩.

(٣) في تفسيره ٢٤/ ٢١٠.

(٤) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٧.

(٥) في تفسيره ٢٤/ ٢١٠.

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٣٠٠، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٧) يعني أن كلمة أرض اسم مؤنث، فكأن فيها هاءً مُرادةً، وكأن تقديرها: أرْضة، فلما حذفت التاء التي كان القياس يوجبها، عوَّضوا منها الجمع بالواو والنون، فقالوا: أرضون. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٢/ ٦١٤ و٦٢٥.

(٨) كذا في النسخ، والذي في مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٢٢: كوى، وكذا نقلها عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٢٧.

من أهل عِلِّيين أشرقت الجنةُ لضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟! فيقال: أَشْرفَ رجل من أهل علِّيين الأبرارِ أهلِ الطَّاعةِ والصِّدْقِ». وفي خبرٍ آخَرَ: «إنَّ أهلَ الجنة لَيَرْون أهلَ عِلِّيين كما يُرى الكوكبُ الدُّرِّيُّ في أُفُقِ السماء»[1] يدلُّ على أنَّ عِلِّيين اسمُ الموضعِ المرتفعِ.

وروى ناسٌ عن ابن عباس في قوله: «عِلِّيين»، قال: أَخْبَرَ أنَّ أعمالهم وأرواحَهم في السماء الرابعة[2].

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: ما الذي أَعْلَمَكَ يا محمدُ أيُّ شيءٍ علِّيون؟ على جهةِ التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ثم فسَّره له فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

وقيل: إنَّ «كتابٌ مرقومٌ» ليس تفسيراً لعلِّيين، بل تمَّ الكلام عند قوله: «علِّيون»، ثم ابتدأ وقال: «كتاب مرقوم» أي: كتابُ الأبرارِ كتابٌ مَرْقومٌ، ولهذا عكس الرقْم في كتاب الفجَّار؛ قاله القشيريُّ.

وروي: أنَّ الملائكة تصعَدُ بعمل العبد، فيَسْتقِلُّونه[3] فإذا انتَهَوْا به إلى ما شاء الله من سلطانه أَوْحَى إليهم: إنَّكم الحفَظَةُ على عبدي، وأنا الرقيبُ على ما في قلبه، وإنَّه أَخْلَصَ لي عملَه، فاجعلوه في علِّيين، فقد غَفَرْتُ له، وإنَّها لتصعدُ بعملِ العبد، فيزكُّونه، فإذا انتَهَوْا به إلى ما شاء الله أَوْحَى إليهم: أنتم الحفظةُ على عبدي وأنا الرقيبُ على ما في قلبه، وإنه لم يُخْلِصْ لي عملَه، فاجعلوه في سِجِّين[4].

---

(١) أخرجه أحمد (١١٥٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) في (ظ) و(ي): السابعة، وهما روايتان عن ابن عباس ذكرهما الرازي ٣١/ ٩٧ .

(٣) في النسخ عدا (د): فيستقبلونه، والمثبت من (د)، وهو الموافق لما في المصادر، على ما يأتي.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٢ ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٥٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٢٢) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، عن النبي ﷺ. وابن أبي مريم ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقريب، كما أن الخبر مرسل.

قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يَشْهدُ عملَ الأبرارِ مقرَّبو كلِّ سماءٍ من الملائكة. وقال وهبٌ وابنُ إسحاقَ: المقرَّبون هنا إسرافيلُ عليه السلامُ، فإذا عَمِلَ المؤمنُ عَملَ البِرِّ، صَعدت الملائكةُ بالصحيفة وله نورٌ يتلألأُ في السماوات كنورِ الشمس في الأرض، حتى يُنْتَهى بها إلى إسرافيل، فيختمُ عليها ويكتبُ، فهو قولُه: «يشهده المقربون» أي: يشهدُ كتابتهم[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ أي: أهلَ الصِّدْقِ والطاعة. ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ أي: نَعْمةٍ، والنَّعمةُ بالفتح: التنعيم؛ يقال: نَعَّمه الله وناعَمَه فتنعَّم، وامرأةٌ منعَّمةٌ ومنُاعَمةٌ بمعنى[٢]. أي: إنَّ الأبرار في الجنات يتنعَّمون. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي الأَسِرَّةُ في الحِجال[٣] ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما أعدَّ الله لهم من الكرامات؛ قاله عكرمةُ وابن عباسٍ ومجاهد[٤]. وقال مقاتل: ينظُرون إلى أهل النار. وعن النبيِّ ﷺ: «ينظُرون إلى أعدائهم في النار»[٥] ذكره المَهْدَوِيُّ. وقيل: على أرائكِ أَفْضالِه ينظرون إلى وجهه وجلاله.

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: بهجَته وغَضَارتَه ونورَه؛ يقال: نَضَر النبات؛ إذا ازْهَرَّ ونَوَّر[٦]. وقراءةُ العامَّةِ: «تَعرِفُ» بفتح التاء وكَسْرِ الراء «نَضْرةَ»

---

(١) في (ظ): كتابهم.

(٢) الصحاح (نعم).

(٣) جمع حَجَلة، وهو موضع مثل القبة يتخذ للعروس، يزين بالثياب والسُّتور والأَسِرَّة. معجم متن اللغة (حجل).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/٤٤٨ ، والبغوي ٤/٤٦١ دون نسبة.

(٥) ذكره مرفوعاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٥٣ . وذكره الواحدي ٤/٤٤٨ ، والبغوي ٤/٤٦١ عن مقاتل قوله.

(٦) نوَّر: أخرج نَوْرَه، والنَّوْر: الزَّهر. القاموس (نور).

نصباً، أي: تَعْرِفُ يا محمد. وقرأ أبو جعفر بنُ القعقاع ويعقوبُ وشيبةُ وابن أبي إسحاق: «تُعْرَف» بضمِّ التاء وفتحِ الراء على الفعل المجهول، «نضرةُ» رفعاً[١].

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ أي: من شرابٍ لا غِشَّ فيه. قاله الأخفشُ والزجَّاج[٢]. وقيل: الرحيقُ: الخمرُ الصافية. وفي «الصحاح»[٣]: الرحيقُ صفوةُ الخمر. والمعنى واحدٌ. الخليل: أَصْفى[٤] الخمرِ وأجودُها. وقال مقاتل وغيره: هي الخمرُ العتيقةُ البيضاءُ الصافيةُ من الغشِّ النيِّرةُ، قال حسان:

يَسْقُونَ مَن وَرَدَ البَريصَ عليهِمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[٥]

وقال آخر:

أَمْ لا سبيلَ إلى الشباب وذِكْرُه أَشْهى إليَّ مِن الرحيقِ السَّلْسَلِ[٦]

﴿مَّخْتُومٍ . خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال مجاهدٌ: يُختمُ به آخِرُ جُرْعةٍ. وقيل: المعنى: إذا شربوا هذا الرحيقَ فَفَني ما في الكأس، انختم ذلك بخاتمِ المِسْكِ. وكان ابنُ مسعود يقول: يجدون عاقبتها طَعْمَ المِسْكِ[٧]. ونحوه عن سعيد بنِ جبير وإبراهيمَ النخعيِّ قالا: ختامُه: آخِرُ طَعْمِه[٨]. وهو حسنٌ؛ لأنَّ سبيل الأشربةِ أن يكون الكَدَرُ في آخرها، فوصف شراب أهلِ الجنة بأنَّ رائحةَ آخِرِه رائحةُ المِسْكِ.

---

(١) النشر ٢/ ٣٩٧ عن يعقوب وأبي جعفر.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٣٠٠ ، وذكره عن الأخفش الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٣٠ .

(٣) مادة (رحق).

(٤) في النسخ: أقصى، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٢٣٠ ، والكلام منه. وفي العين ٣/ ٤٥ : الرحيق من أسماء الخمر.

(٥) ديوان حسان ص ١٨٠ ، وسلف ٢١/ ٤٧٨ .

(٦) البيت لأبي كبير، وهو في ديوان الهذليين ص ٨٩ . قال شارح الديوان: السلسل: السهلُ في الحَلْقِ السَّلِسُ.

(٧) أخرجه هناد في الزهد (٦٤).

(٨) أخرجه بهذا اللفظ عن سعيد بن جبير ابن أبي شيبة ٣/ ١٤٣ . وأخرجه عن إبراهيم الطبري ٢٤/ ٢١٨ بلفظ: عاقبته مسك.

وعن مسروق عن عبد الله. قال: المختومُ: الممزوج[١].

وقيل: مختوم، أي: خُتِمتْ ومُنِعتْ عن أن يمسَّها ماسٌّ إلى أن يَفُكَّ ختامَها الأبرارُ.

وقرأ عليٌّ وعلقمةُ وشقيقٌ والضحاكُ وطاوسٌ والكسائيُّ: «خاتَمه» بفتح الخاء والتاء وألفٌ بينهما[٢]. قال علقمةُ: أمَا رأيتَ المرأةَ تقولُ للعطار: اجْعَلْ خاتَمه مِسْكاً، تريدُ آخِرَه. والخاتمَ والخِتام متقارِبان في المعنى، إلَّا أنَّ الخاتم الاسمُ، والخِتام المصدرُ؛ قاله الفراء[٣].

وفي «الصحاح»: والخِتامُ: الطِّينُ الذي يُخْتَم به[٤]. وكذا قال مجاهدٌ وابن زيد: خُتم إناؤه بالمسك بدلاً من الطِّين. حكاه المهدويُّ. وقال الفرزدق:

وبِتُّ أَفُضُّ أَغلاقَ الخِتامِ[٥]

وقال الأعشى:

وأَبْرَزَها وعليها خَتَمْ[٦]

أي: عليها طينةٌ مختومةٌ، مثل نَفَضٍ بمعنى منفوضٍ، وقَبَض بمعنى مقبوضٍ[٧].

وذكر ابنُ المبارك وابنُ وَهْبٍ، واللفظُ لابنِ وَهْبٍ، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: «خِتامه مِسْك»: خِلْطُه، ليس بخاتمٍ يَخْتِم، ألَا ترى إلى قولِ المرأةِ من

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٤٢ ، وهناد في الزهد (٦٦)، والطبري ٢٤/٢١٦ .

(٢) السبعة ص ٦٨٦ ، والتيسير ص ٢٢١ عن الكسائي. وذكرها عن علي وعلقمة الفراء في معاني القرآن ٣/٢٤٨ .

(٣) في معاني القرآن ٣/٢٤٨ .

(٤) الصحاح (ختم).

(٥) وصدره: فبتن بجانبيَّ مُصَرَّعات، وسلف ١٣/١٤٨ .

(٦) وصدره: وصهباءَ طاف يَهوديُّها. وهو في ديوان الأعشى ص ٨٥ ، والصحاح (ختم). قال الشارح: أي: يبرزها صاحبها اليهودي مختومة لم تُفَضَّ ولم تعبث بها يد. والصهباء: الخمر. القاموس (صهب).

(٧) الصحاح (ختم). والنَّفَض: ما تساقط من ورق الشجر والثمر. الصحاح (نفض).

نسائكم: إنَّ خِلْطَه من الطِّيب كذا وكذا. إنَّما خِلْطُه مسك[١].

قال [أبو الدرداء]: شرابٌ أبيضُ مثلُ الفضةِ يَخْتِمون به آخِرَ أَشْرِبَتهم، لو أنَّ رجلاً من أهل الدنيا أَدْخَل فيه يده ثم أَخْرَجَها، لم يَبْقَ ذو روحٍ إلَّا وَجَدَ ريحَ طِيْبِها[٢].

وروى أُبَيُّ بنُ كعب قال: قيل: يا رسول الله، ما الرحيقُ المختوم؟ قال: «غُدْرانُ الخمر»[٣]. وقيل: مختومٌ في الآنية، وهو غيرُ الذي يجري في الأنهار. فالله أعلم.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ أي: وفي الذي وصفناه من أمر الجنة ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: فلْيَرْغَب الراغبون؛ يقال: نَفِسْتُ عليه الشيءَ أَنْفَسُه نفاسةً، أي: ضَنِنتُ به، ولم أُحِبَّ أنْ يصيرَ إليه[٤]. وقيل: الفاءُ بمعنى إلى، أي: وإلى ذلك فليتبادرِ المتبادِرون في العمل، نظيرُه: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ومِزَاجُ ذلك الرحيقِ ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ وهو شرابٌ ينصبُّ عليهم من علوٍّ، وهو أشرفُ شرابٍ في الجنة. وأصلُ التسنيم في اللغة: الارتفاعُ، فهي عينُ ماءٍ تجري من علوٍّ إلى أسفل، ومنه: سنام البعير؛ لعلوِّه من بَدَنِه، وكذلك تسنيمُ القبور.

وروي عن عبد الله قال: «تسنيم» عينٌ في الجنة يشربُ بها المقرَّبون صِرْفاً، ويُمزجُ منها كأسُ أصحابِ اليمين فتطيب[٥].

وقال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ قال: هذا ممَّا قال الله

---

(١) الزهد لابن المبارك (٢٧٧ - زوائد نعيم)، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ٢١٦ ، والطبراني في الكبير (٩٠٦٢).

(٢) الزهد لابن المبارك (٢٧٦ - زوائد نعيم)، وتفسير مجاهد ٢/ ٧٣٩ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢١٨ ، والبعث والنشور للبيهقي (٢٦٥)، وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣٠ .

(٤) تفسير الرازي ٣١/ ١٠٠ .

(٥) أخرجه الحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٥٢٢)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٤٢ ، وهناد في الزهد (٦٥)، والطبري ٢٤/ ٢٢١ .

تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][(١)].

وقيل: التسنيم: عينٌ تجري في الهواء بقدرةِ الله تعالى، فتنصبُّ في أواني أهلِ الجنةِ على قَدْرِ مائها، فإذا امتلأتْ أَمْسَكَ الماء، فلا تقع منه قطرةٌ على الأرض، ولا يحتاجون إلى الاستقاء؛ قاله قتادة[(٢)].

ابن زيد: بَلَغَنا أنَّها عينٌ تجري من تحت العرش[(٣)]. وكذا في مراسيلِ الحسن. وقد ذكرناه في سورة الإنسان[(٤)].

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشربُ منها أهلُ جنةِ عَدْنٍ ـ وهم أفاضِلُ أهلِ الجنةِ ـ صِرْفًا، وهي لغيرهم مِزَاجٌ.

و«عيناً» نصب على المدح. وقال الزجَّاج: نصب على الحال من تسنيم، وتسنِيم معرفةٌ، ليس يُعرفُ له اشتقاق، وإن جَعَلْته مصدراً مشتقًّا من السَّنام فـ«عيناً» نصب لأنه مفعولٌ به، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥] وهذا قولُ الفراءِ: أنه منصوبٌ بتسنيم. وعند الأخفش بـ «يُسْقَون» أي: يُسقونَ عيناً، أو: من عين. وعند المبرِّد بإضمارِ أعني على المدح[(٥)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ وَصَفَ أحوالَ الكفَّارِ في الدنيا مع المؤمنين في

---

(١) ذكره الرازي ٣١/ ١٠٠ ، والبغوي ٤/ ٤٦٢ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٤٩ .

(٢) ذكره البغوي ٤/ ٤٦١ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٢٤ .

(٤) عند تفسير الآية السادسة منها.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٩ ، وللزجاج ٥/ ٣٠١ ، وللأخفش ٢/ ٧٣٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٨٢ .

استهزائهم[١] بهم، والمرادُ رؤساءُ قريشٍ من أهلِ الشِّرْك. رَوَى ناسٌ عن ابن عباسٍ قال: هو الوليدُ بنُ المغيرةِ، وعُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ، والعاصُ بنُ وائلٍ، والأسودُ بنُ عبدِ يَغوث، والعاصُ بن هشام، وأبو جهل، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ، وأولئك ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أصحاب محمدٍ ﷺ، مثل عَمارٍ وخَبَّابٍ وصُهَيبٍ وبلال ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجهِ السُّخْرِية[٢]. ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾ عند إتيانهم رسولَ الله ﷺ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمزُ بعضُهم بعضاً، ويشيرون بأعينهم. وقيل: أي: يعيِّرونهم بالإسلام ويَعِيْبونَهم به. يقال: غَمزْتُ الشيءَ بيدي، قال:

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كَسَرْتُ كُعوبَها أو تستقيما[٣]

وقالت عائشةُ: كان النبيُّ ﷺ إذا سجد غَمزَني، فقبضتُ رِجْليَّ، الحديثَ، وقد مضى في «النساء»[٤]. وغمزتُه بعيني.

وقيل: الغمز: بمعنى العيب، يقال: غمزه، أي: عابَه، وما في فلانٍ غَمْزة[٥]، أي: عيب.

وقال مقاتل: نزلت في عليّ بنِ أبي طالب؛ جاء في نَفَرٍ من المسلمين إلى النبيِّ ﷺ فَلَمَزهم المنافقون، وضحكوا عليهم وتَغامَزوا[٦].

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ أي: انْصَرَفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذَويهم ﴿انقلبوا فاكِهين﴾ أي: مُعَجِّبين منهم. وقيل: مُعْجَبون بما هم عليه من الكفر، متفكِّهون بِذِكْرِ المؤمنين. وقرأ ابنُ القعقاع وحَفْصٌ والأعرجُ والسُّلميُّ: «فَكِهين» بغيرِ ألفٍ. الباقون بألف[٧].

---

(١) في (د) و(م): باستهزائهم، وفي (ظ): واستهزاءهم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٤٩ ، والبغوي ٤/ ٤٦٢ ، والرازي ٣١/ ١٠١ دون نسبة.

(٣) سلف ٥/ ١٧٣ .

(٤) ٦/ ٣٧٥ .

(٥) كذا في النسخ، وفي المعاجم: غميزة.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥٨ ، والكشاف ٤/ ٢٣٣ ، وتفسير الرازي ٣١/ ١٠١ .

(٧) السبعة ص ٦٧٦ ، والتيسير ص ٢٢١ ، والنشر ٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥ و٣٩٩ .

قال الفرَّاء[١]: هما لغتان، مثل: طَمِع وطامِع، وحَذِر وحاذِر، وقد تقدَّم في سورة الدخان[٢]، والحمد لله. وقيل: الفَكِهُ: الأَشِرُ البَطِرُ، والفاكِه: الناعِم المتنعِّم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء الكفارُ أصحابَ محمدٍ ﷺ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ في اتِّباعهم محمداً ﷺ ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ لأعمالهم، مُوَكَّلين بأحوالهم، رُقَباءَ عليهم. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني هذا اليوم الذي هو يومُ القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمدٍ ﷺ ﴿مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفارُ منهم في الدنيا. نظيرُه في آخِر سورةِ المؤمنين، وقد تقدَّم[٣].

وذكر ابن المبارك: أخبرنا محمد بن يسار عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ قال: ذُكِر لنا أنَّ كعباً كان يقول: إنَّ بين الجنةِ والنارِ كُوًى، فإذا أراد المؤمنُ أن ينظر إلى عدوٍّ كان له في الدنيا اطَّلَع من بعضِ الكُوَى؛ قال الله تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] قال: ذُكِر لنا أنه اطَّلع فرأى جماجمَ القومِ تَغْلِي[٤].

وذكر ابن المبارك أيضاً: أخبرنا الكلبيُّ عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بِهِم﴾ [البقرة: ١٥] قال: يقال لأهل النارِ وهم في النار: اخرجوا، فتفتَحُ لهم أبوابُ النارِ، فإذا رَأَوْها قد فُتِحَتْ أَقْبَلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انْتَهَوْا إلى أبوابها غُلِّقتْ دونهم، فذلك قولُه: ﴿الله يستهزئ بِهِم﴾ ويَضْحكُ منهم المؤمنون حين غُلِّقتْ دونهم، فذلك قولُه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٥] وقـــد

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٩ بنحوه.

(٢) ١٩/ ١١٧ - ١١٨.

(٣) ١٥/ ٩٥.

(٤) لم نقف عليه عند ابن المبارك، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٢٨.

(٥) لم نقف عليه عند ابن المبارك، وأخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ١/ ٣١.

مضى هذا في أولِ سورة البقرة[١].

ومعنى «هل ثُوِّب» أي: هل جُوزي [الكفار] بسُخْرِيتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فُعِل بهم ذلك[٢]. وقيل: إنه متعلِّق بـ «ينظرون» أي: ينظرون: هل جُوزيَ الكفار؟ فيكون معنى هل وموضعُها نصباً بـ «ينظرون». وقيل: استئنافٌ لا موضعَ له من الإعراب. وقيل: هو إضمارٌ على القول، والمعنى: يقول بعضُ المؤمنين لبعضٍ: «هل ثُوِّب الكفار» أي: أُثيبَ وجُوزي. وهو مِن ثابَ يثوبُ، أي: رجع، فالثَّوابُ ما يرجع على العبد في مقَابَلَةِ عَمَلِه، ويُستعمل في الخير والشَّرّ. خُتِمَتِ السورةُ والله أعلم.

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع، وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أي: انْصَدَعَتْ[٣] وَتَفَطَّرَتْ بالغَمام، والغَمامُ مثلُ السَّحاب الأبيض. وكذا رَوَى أبو صالح عن ابن عباس. وروي عن عليٍّ عليه السلامُ قال: تُشَقُّ من المَجَرَّة[٤]. وقال: المَجرَّةُ بابُ السماء[٥]. وهذا من أشراطِ الساعةِ

(١) ١/ ٣١٥.

(٢) بنحوه في مجمع البيان ٣٠/ ٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه. قال الطبرسي: وهو استفهام يراد به التقرير، ويكون استئنافَ كلام لا موضع له من الإعراب.

(٣) في (د) و(ظ): تصدعت.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.

(٥) أخرجه الطبراني (١٠٥٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٦) عن ابن عباس بلفظ: المجرة باب السماء الذي تنشق منه.